وبتصريحه صلى الله عليه وسلم بانها احلت له ساعة من نهار وبنهيه عن الناس به في ذلك وبان تركه القسمة لا يستلزم عدم العنوة فقد من عليهم بدورهم بعد الفتح
عنوة وبان قوله صلى الله عليه وسلم من دخل المسجد فهو امن الحديث لا يكون صلحا الا اذا كف عن القتال وظاهر الاحاديث الصحيحة ان قريشا لم يلتزموا ذلك لانهم
استعدوا للحرب واجيب عن الاول بان صريح قوله صلى الله عليه وسلم حتى توافوني بالصفا ان امره انما كان لخالد ومن معه لمن الطلبين من اسفل مكة وقد سمي فوق
بن عقبة وغيره انه امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم فالامر بالقتال محمول على هذا التفصيل اي احصدوهم ان قاتلوكم كما دل عليه كلام اهل السير ولا مانع انه
كرر قوله من اغلق بابه فهو امن وعن الثاني بان وقوع القتال من خالد انما كان لمن قاتله كما امره صلى الله عليه وسلم وبه صرح ائمة السير وتعرض انه اجتهاد منه
فلا عبرة به مع رأيه صلى الله عليه وسلم وعن الثالث بان حلها له صلى الله عليه وسلم لا يستلزم وقوع القتال منه لمن لم يقاتله وكم احل له صلى الله عليه وسلم اشيا لم
يفعلها كما يعرف ذلك من خصائصه وعن الرابع بانا لم نجعل عدم القسمة دليلا مستقلا بل مقويا على انا لنا ان نجعله مستقلا ونقول الاصل في عدم القسمة
انه دليل على الصلح حتى يقوم دليل على خلافه فعمل بالظاهر في الصلح وان لم يستلزمه وما نحن فيه يكتفى فيه بالظاهر وعن الخامس بان اكابرهم كفوا عن القتال
ولم يقع الا من اخلاطهم في غير الجهة التي دخل منها صلى الله عليه وسلم ولا عبرة بها ولا نعين بها لانهم كانوا اخلاطا لا يعبؤ بهم كما اطبق عليه اهل السير وتعرض
تاهب قريش للقتال فهو لا يقتضي رد الصلح لانه لخوف نادرة تقع من فقوف ذلك الجيش الحافل لا سيما وقد سمعوا قول سعد بن عبادة سيد الخزرج وحامل رايتهم
يوم الظهران لابي سفيان اليوم يوم الملحمة اي القتال وان كان صلى الله عليه وسلم انكر ذلك عن سعد واخذ الراية منه واعطاها لولده قيس او لعلي او للزبير رضي الله عنهم وان قلت
يؤيد العنوة قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته لاهل مكة اذهبوا فانتم الطلقا قلت لا يؤيده لان معناه فانتم الذين اطلقهم الله بواسطة تركهم القتال من ان يضرب عليهم
اسر او استرقاق وحينئذ فهو دليل للصلح لا للعنوة والكعبة اول بيت وضع في الارض للعبادة اجماعا كما قاله الماوردي وانما اختلفوا هل هو اول بيت
وضع للرحمة والبركة وهو ما نقل عن علي كرم الله وجهه وهذا معنى قول الحسن وقتادة انه كان قبله بيوت كثيرة ولكنه اول بيت وضع للعبادة او
اول بيت وضع مطلقا وهو قول الجمهور وهو الاصح قال الله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة واختلف المفسرون في معناه فروى الازرقي
عن مجاهد قال لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وعن مجاهد ان هذا
البيت احد اربعة عشر بيتا في كل سما بيت وفي كل ارض بيت بعضهن مقابل بعض قال بعضهم واعلاها الذي يلي العرش البيت المعمور ولكل بيت منها حرم
كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السفلى ولكل بيت من اهل السما والارض من يعمره كما يعمر هذا البيت وروى
الازرقي بسنده الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال ان الله بعث ملائكة فقال ابنوا لي بيتا في الارض بمثال البيت المعمور وقدره وامر الله تعالى
من في الارض من خلقه ان يطوفوا به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور قال وهذا كان قبل خلق ادم عليه السلام وقال ابن عباس هو اول بيت بناه ادم في
الارض وقوله تعالى مباركا معناه كثير الخير وانتصب على الحال قال الزجاج وغيره المعنى استقر بمكة في حال بركته وهو حال من وضع اي وضع مباركا اي

من الضمير

من الضمير فيه فان قلت مقتضى تقرير الزجاج وغيره المذكور انه حال من فاعل المقدر صلة الذي وهو استقر فينافي قوله وهو حال من وضع قلت لا منافاة
لان المال واحد اذ الضمير في الصلة المقدرة مماثل للضمير في وضع لرجوعهما الى شيء واحد ولكن جعله حالا من استقر المقدر اولى من حيث الصناعة لما لا يخفى وقد
يقال معنى كونه حالا من وضع اي من ضمير الموجود في استقر لان استقر هو العامل في الحال دون وضع على انه قد يلزم من جعله حالا من وضع منافاة للاستدلال
للاصح لانه اذا كان حالا من وضع صار قيدا له فيصير المعنى انه اول بيت وضع للناس حال كونه مباركا لا انه اول بيت وضع مطلقا وهذا هو المروي عن علي كرم الله
وجهه كما تقرر بخلاف ما اذا جعل حالا من استقر فانه يصير نصا في انه اول بيت وضع مطلقا اذ المعنى حينئذ ان اول بيت وضع للناس مطلقا للذي استقر
بمكة حال كونه مباركا فهو قيد لاستقراره بمكة لا لوضعه اذا علمت ذلك بان لك اختلاف المعنى بين جعله حالا من وضع وبين جعله حالا من استقر وعن ابي ذر
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما رواه
الشيخان واستشكل بان اول من بنى الكعبة اما الملائكة او ادم او ابراهيم او انه وضع بالقدرة لا ببنا احد اما مع الدنيا او اهبط مع ادم على الخلاف
في ذلك وبان بيت المقدس اما داود كما في حديث واما سليمان كما صح في حديث اخر وبين ابراهيم وسليمان ما يزيد على الف سنة كما قاله ابن الجوزي وقول
ابن حبان اخذا من ظاهر الحديث ان بين ابراهيم وداود اربعين سنة مردود بانه محال قطعا والجواب ان كلا من ابراهيم وداود مجدد وقول ابن كثير
لم يثبت خبر معصوم ان البيت كان مبنيا قبل ابراهيم يعارضه ما صح من الاثار في ذلك عن ابن عباس وغيره ومثل ابن عباس في ذلك حجة بل روى ابن هشام
ان ادم هو الباني للمسجدين وقيل اول من بنى بيت المقدس الملائكة وقيل سام بن نوح وقيل يعقوب بن اسحق ولا يعارض ذلك ورود الخبر بتعمير داود له
بلغ
قال العطار لانه وضع قبل داود وسليمان ثم زاد افيعة فاضيف بناؤه اليهما فيحتمل ان الصخرة سر الارض في المزيد وايات الحرم البينات المذكورة في قوله تعالى
فيه ايات بينات وكلام المصنف كاصله صريح في ان الضمير في قوله تعالى فيه عائد على الحرم وهو ظاهر لئلا يلزم عليه انحصار الايات في داخل جدار البيت فبناؤه فيه
قوله تعالى مقام ابراهيم اذ هو تفسير واعرابه بدل كل من كل من قوله تعالى ايات بينات فان قلت الايات جمع والمفسر به مفرد اذ هو المقام وامن داخله فلا مطابقة
قلت اشار الزمخشري لجواب ذلك بان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة واجاب غيره بان المقام مشتمل على ايات كالاية الصخر والغوص فيه
وحفظه مع كثرة اعدائه دون ايات سائر الانبيا وغير ذلك مما يأتي او يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة
ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد وجعل ومن دخله اي الحرم على ما مر او البيت على ما يأتي كان امنا تفسيرا انما هو باعتبار المعنى لا من جهة الصناعة
لانه جملة لا يصح عطفها على مقام ابراهيم وذكر ابن هشام في المغني الرد على الزمخشري في قوله في مقام ابراهيم انه عطف على ايات بينات مع اتفاق النحويين
على ان البيان والمبين لا يتخالفان تعريفا وتنكيرا ثم اعتذر عنه بقوله وقد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتاخيهما ويؤيده قوله في اسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ان من وجدكم عطف بيان لقوله سكنتم وتفسير له قال ومن تبعيضية حذف مبعضها اي اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقون انتهى

Copyright © King Saud University